التأثير السلوكي لوسائل الاعلام : تحليل من المستوى الثاني

د . محمد عرفه
جامعتا القاهرة وقطر

مقدمة :

« وسائل الإعلام والسلوك الإنساني » مجال بحثي ، رغم أنه قديم قدم البحث الإعلامي الجاد منذ بداية االأربعينات من هذا القرن ، يبدو أنه لن تتقادم تساؤلاته بحيث يأتي اليوم الذي نقرر فيه أن كل تلك التساؤ لات قد تمت الاجابة عليها بالفعل ، ويبدو أنه لن تموت قضاياه مهما إستهلكها النقاش على المستويين العام والعلمي . فاجراءات البحث الإعلامي أو الاجتماعي في هذا المجال الحيوي مازالت بعيدة عن الكمال ، في الوقت الذي تتعامل فيه مع تساؤلات صعبة ومعقدة . وقضايا هذا المجال البحثي ذات أهمية متجددة بحيث يصعب تجاهلها في أي وقت . وأهم من ذلك كله فان كلا من طرفي هذا المجال : أي وسائل الإعلام والسلوك عرضة للكثير من أوجه التغيير والتغير ، وهو ما يجعل العلاقة بينهما هي الأخرى دائمة التغير .

والوضع في هذا المجال البحثي اليوم مازال بعد واحد وثلاثين عاما أبعد ما يكون عما تنبأ به برنارد بيرلسون عام ١٩٥٩[١] في بداية حلقة دراسية حول مستقبل البحث الاتصالى أو الإعلامي من أن باحثي العلوم الاجتماعية قد ينصرفون قريبا عن البحث في الإعلام أو الاتصال الجماهيري ذلك أن التساؤلات الرئيسية ستكون قد تمت الإجابة عليها . فالواقع اننا اليوم أقرب إلى مقولة ولبور شرام في نفس تلك الحلقة الدراسية منا إلى مقولة بيرلسون . ومقولة شرام هي أنه أنه ليس من قبيل المبالغة ان نقرر أن البحث الإعلامى في مجال التأثير السلوكي لوسائل الإعلام يبدو وكأنه قد بدأ الآن فقط[٢] . رغم أنه بدأ منذ أكثر من خمسين عاما .

---

(1) berelson, B.R., 1959, "The State of Communication Research", Public Opinion Quarterly, vol. 23, pp. 1 – 15.

(2) Comstock, et al., 1978, **Television and Human Behavior,** New York: Columbia University Press, p. XIV.

وأنا لا أقصد هنا أن البحوث التي تناولت التأثير السلوكي لوسائل الإعلام نادرة أو حتى قليلة . فالواقع عكس ذلك . ولكن ما أقصده هو أن هذا الموضوع مازال يحظى باهتمام العديد من الباحثين وكأنه موضوع جديد ليس في مجال الإعلام (الاتصال) فقط بل في مجالات عديدة نذكر منها علوم النفس والطب النفسي والاجتماع والتربية والاجرام والسياسية .

ودراسة التأثير المقصود وغير المقصود لوسائل الإعلام كما يظهر في سلوك مستهلكي تلك الوسائل كانت ومازالت مليئة بالجدل والخلاف حول قدرة العلوم الاجتماعية والسلوكية ، التي يعد علم الاتصال أحد أعضائها ، على الوصول إلى نتائج تؤكد أو تنفي بشكل قابل للتحقيق العلاقة السببية بين محتوى وسائل الإعلام بشكل عام وبين سلوك المستهلكين الدائمين **Heavy Consumers** لمحتوى تلك الوسائل مقارنة بسلوك غير المستهلكين أو المستهلكين النادرين **Light Consumers** لذلك المحتوى . وربما ضاعف من الضجيج حول هذا الموضوع حقيقة أن القليل النادر فقط من باحثي العلوم الاجتماعية والسلوكية ، بل من الجمهور العام ، هم الذين لا يعتبرون أنفسهم خبراء في وسائل الإعلام وتأثيرها على جماهيرها **Audiences** . ويكفي أن أذكر هنا أنه بعد أن نشرت في الصحافة العامة نتائج دراسة قام بها بعض علماء الاتصال الجماهيري لحساب المركز القومي للصحة النفسية بالولايات المتحدة ، كتب أحد القراء إلى لجنة البحث بالمركز يقول «لو أنكم سألتموني عن تأثير مضمون العنف بوسائل الإعلام وبالذات التليفزيون على سلوك المشاهدين لاسترحتم ووفرتم مبالغ طائلة أنفقتموها من عوائد ضرائبنا على هذا البحث[1] .

لكن ما هي أسباب اختيار هذا الموضوع ليكون محورا لورقة بحث في بداية التسعينات ؟

خمسة أسباب على الأقل كانت وراء اختياري لهذا الموضوع :

١ ـ ان هناك اليوم في العالم كله درجة عالية من الاهتمام بالتحقيق الامبريقي **Empirical verification** من تأثير وسائل الاعلام على سلوك الفردوالمجتمع ، وذلك بتأثير إتساع نطاق البث الاذاعي المباشر بالأقمار الصناعية في مناطق عديدة من العالم . هذا البث الذي جعل استقبال اشارات الراديو أو التليفزيون يسيرمباشرة من القمر الصناعي إلى أجهزة الاستقبال دون حاجة إلى وساطة محطة القمر الصناعي الأرضية والتي كانت تعمل كأحد أكبر حراس البوابة **Gate Keepers** في عملية الاتصال الدولي بالوسائل الالكترونية فتستقبل الاشارات الاذاعية وتعيد

---

(1) Comstock et al., Op., cit. p. 1.

بث ما تريد فقط إلى أجهزة الاستقبال الاذاعي من راديو وتليفزيون . هذا الاهتمام بالتحقق الامبريقي من تأثير وسائل الإعلام بدأ يظهر في عمليات اعادة تقويم الدراسات السابقة في مجال تأثير وسائل الإعلام في مستهلكيها بعامة وفي سلوك هؤلاء المستهلكين بشكل خاص واعادة النظر في الافتراضات التي بنيت عليها تلك الدراسات وفي المناهج والأدوات التي استخدمتها في البحث .

٢ - إن الوقت الذي مر على البحوث التي ركزت على أحد جوانب هذا الموضوع وهو صلة مضامين العنف في وسائل الاعلام بالسلوك العدواني أو العنيف لمستهلكي تلك المضامين والتي تم نشر معظمها في تقريرين صدرا عن المفوض الصحي العام بالولايات المتحدة Surgeon General في عامي ١٩٧٢ ، ١٩٨٢ . . هذا الوقت يعد كافيا لاعادة النظر في تلك البحوث وتقويمها تقويمًا أقرب إلى الدقة .

٣ - إن هناك تغييرا أساسيا في بنية الاعلام العالمي . وأبرز مظاهر هذا التغيير هو بروز وسائل الإعلام متعددة الجنسية والتي تعطي للفرد المستهلك للرسائل وللجمهور فرصة للاختيار ليس فقط من بين الرسائل التي تبثها وسائل الاعلام القومية بل الوسائل الدولية . هذا التغير في البنية الإعلامية الدولية بدأ يؤثر على مضمون وأداء وسائل الإعلام القومية . وهو ما يثير العديد من المشاكل التي سوف تكون بؤر اهتمام باحثى الاتصال في المستقبل القريب . وهذا البحث المستقبلي يجعل عملية مراجعة التجارب البحثية السابقة أمرا ضروريا .

٤ - إن اهتماما متزايدا بدرجات متفاوتة قد بدأ يظهر داخل حدود كل دولة وبين الدول بترجمة البحوث الاجتماعية والسلوكية إلى سياسات فعلية . ولما كان الباحثون في الإعلام ، بل في العلوم الاجتماعية كلها ، مازالوا يعيشون في عوالم مستقلة تبدو قليلة الصلة بما يحيط بهم ، ومازالوا يستخدمون لغة بحثية بعيدة عن لغة التطبيق فإن هناك حاجة اليوم إلى اعادة النظر في مناهج البحث وأدواته حتى يصبح قادرا على اعارة نفسه بسهولة للتطبيق . ونجاح عملية استخدام البحث العلمي كأساس لوضع السياسة التطبيقية يعتمد في جزء منه على إعادة النظر في تركة التجارب البحثية الماضية . فاعادة النظر هذه سوف تزيد من ايضاح بؤر الاهتمام التي ينبغي أن يتركز عليها البحث المستقبلي الذي يصلح أن يكون مرشدا للسياسة الإعلامية إن لم يكن أساسها .

٥ - ان هناك جدالا بدأ منذ سنوات طويلة ومازال يتردد في بحوث الإعلام حول أحد جوانب التأثير السلوكي لوسائل الإعلام وهو علاقة العنف الذي يظهر في تلك الوسائل وبالذات

التليفـزيون بالسلوك العدواني لبعض جماهير تلك الوسائل وبالذات الأطفال والمراهقون[1] . فالبعض يرى أن هناك علاقة سببية بين الاثنين ـ أي ان جرعة العنف الاعلامي الضخمة التي تقدمها وسائل الإعلام تسبب تزايدا في السلوك العدواني لمن يستهلك تلك الجرعة بكثافة وبالذات الأطفال . البعض الآخر يجد علاقة إرتباط فقط **Association** وليس علاقة سببية . وهؤلاء يقررون أن اتجاه علاقة الارتباط قد يأخذ عكس علاقة السببية أي أن فئات الجمهور ذات السلوك العدواني هي التي تبحث عن مضامين العنف في وسائل الإعلام وتستهلكها لأسباب نفسية تتعلق بالتبرير . بل إن البعض الثالث يرى انه ليس هناك مبرر علمي كاف للاعتقاد بوجود علاقة على الاطلاق ـ أيا كانت طبيعتها ، سببية أو ارتباط . ونحن نأمل من خلال هذه الدراسة أن نجمع دلائل علمية من البحوث المتوافرة تساهم في حسم هذا الموضوع .

اجراءات البحث **Procedures** :

لأن العـلاقـة بـين مضـامـين وسائل الإعلام وسلوك مستقبلي تلك المضامين ، أو التأثير السلوكي لوسائل الإعلام هو أوسع مجالات البحث الاتصالي ، وهو في الواقع الهدف النهائي لكل بحوث الإعلام سواء تعلقت تلك البحوث بالقائم بالاتصال أو بالوسيلة أو بالرسالة أو المستقبل ، فإن من الصعب أن نحصر كل الـدراسـات التي أجريت في هذا المجال . فقد ذكر كومستوك وزمـلاؤه مثـلاً أن الـدراسات التي عالجت تأثير وسيلة واحدة فقط هي التليفزيون على سلوك مشـاهديه قد زادت عام ١٩٧٨ على ٢٣٠٠ دراسة منشورة ما بين كتاب ومقالة وتقرير بحث ووثيقة باللغة الانجليزية فقط[2] . ودلت خدمات المعلومات **Information Service** التي استخدمتها خلال صيف ١٩٩٠ على أن هذا العدد قد وصل هذا العام إلى أكثر من ٣٤٥٠ دراسة باللغة الانجليزية فقط بعد أن كان شيرون لويري وميلفين دى فلير قد قدراها عام ١٩٨٨ بأكثر من ٢٩٠٠ دراسة[3] .

فاجـراء تحليـل من المستوى الثاني أو حتى مجرد الحصول على كل هذا الكم الهائل من الدراسات والاطلاع عليه إذا يخرج عن نطاق ما هو ممكن انسانيا **Humanly Impossible** حتى بالنسبة لفريق كبير من الباحثين ولا أقول باحثا واحدا .

---

(1) Ibid, p. XV.

(2) Ibid, p. XVII.

(3) Lowery, Shearon A. and Melvin L. Fleur, 1988, **Milestones in Mass Communication Research**, 2nd ed. New York: Longman Inc., pp. 353 – 424.

لهذا فقد ركزت البحث على موضوعين اثنين فقط من الموضوعات ذات البروز **Most Selient Topics** في مجال التأثير السلوكي لوسائل الإعلام . هذان الموضوعان هما : الأول هو التأثير السلبي لمضامين العنف في وسائل الإعلام ، وعلى الأخص في التليفزيون على سلوك مستهلكي تلك المضامين ، كما يظهر هذا التأثير في شكل أنماط عدوانية للسلوك **Aggressive Behavioral Patterns** . والثاني هو التأثير الايجابي لوسائل الإعلام على سلوك جمهور تلك الوسائل كما يظهر في أربعة أنماط هي بالتحديد الإيثار **Altruism** أو سلوك المشاركة **Sharing Behavior** ، السلوك الودي **Friendly Behavior** تجاه فرد أو جماعة أو تنظيم اجتماعي ، ضبط النفس **Self - Control** ثم سلوك الاطفال والبالغين في مواجهة مشاعر الخوف **Effects of showing people coping with Fears** .

واقتصر التحليل على الدراسات التي استخدمت واحدا أو كلا من تصميمين منهجيين اثنين فقط هما : التصميم التجريبي **Experimental Design** والدراسات الحقلية **Field Studies** سواء كانت تلك الدراسات الحقلية عادية أو طولية **Longitudinal Field Studies** . وسبب الانتقاء واضح . فهذين النوعين من الدراسات هما اللذان يقيسان بالفعل إما التأثير السلوكي لمضمون معين على سلوك متلقي هذا المضمون وبذلك يفحص علاقة السببية ، أو التأثير المقصود أو غير المقصود لتجربة التعرض بشكل عام **Exposure Experience** لوسيلة أو مجموعة من الوسائل خلال فترة زمنية معينة على سلوك الجمهور ذى الاستخدام المكثف لهذه الوسائل **Heavy Users** وبذلك يبحث علاقة الارتباط .

وقد مكنت الاستعانة بخدمات المعلومات المتوافرة في إحدى جامعات الولايات المتحدة خلال الصيف الماضي من الحصول على الدراسات التي ينطبق عليها التحديد المنهجي السابق . وتركزت خدمات المعلومات على نوعين : الأول هو استخدام نظام الفهارس الممكيكنة **Automated Indexes** التي قدمت قائمة بالكتب التي نشرت في هذا الموضوع وتم تضمينها في قوائم مكتبة الكونجرس حتى عام ١٩٩٠ . ومن هذه الكتب تم اختيار الكتب والتقارير التي نشرت بالانجليزية خلال السبعينات والثمانينات على أساس أن تلك المواد أعادت مراجعة المواد التي نشرت قبل ذلك وبنت عليها أو اكتشفت الثغرات المختلفة في هذا التراث وحاولت ملأها .

الثانى : هو أسلوب فيرجو **Vergo** الذي تستخدمه جامعة فرجينيا في البحث البيلوجرافي بالكمبيوتر **On - line Search** والذي يقدم كل البحوث التي نشرت في الموضوع في شكل

مقالات أو بحوث وغيرها من ملخصات بحوث الماجستير والدكتوراه التي لم يتم جمعها بين دفتي كتاب . واقتصر البحث الببلوجرافي بالكمبيوتر على المواد التي ظهرت في السبعينات والثمانيات لنفس السبب السابق، إضافة إلى ما لاحظته خلال دراستي وعملي في مجال بحوث الاتصال في السنوات الأخيرة من تغير في محور الاهتمامات البحثية خلال هذين العقدين في مجال التأثير السلوكي لوسائل الاعلام. فقد شهدت السبعينات وما قبلها تركيز باحثي الاتصال المهتمين بهذا المجال على صلة المضامين العنيفة لوسائل الاعلام بالسلوك العدواني أو السلوك العنيف لجمهور تلك الوسائل. أما الثمانينات فقد شهدت تقسيما لاهتمامات الباحثين بشكل متوازن بين دراسة التأثير السلبي لوسائل الاعلام على انماط سلوك جماهير تلك الوسائل والذي يظهر في شكل عنف وسلوك غير مقبول اجتماعيا **Antisocial Behavior** من جهة وتأثير هذه الوسائل في خلق أو تدعيم أنماط سلوكية مقبولة اجتماعيا **Prosocial Behaviors** من جهة أخرى .

وكانت محصلة هذه الاجراءات الانتقائية هي ١٢٣ دراسة منها ٤٧ دراسة عن العلاقة بين العنف في وسائل الاعلام والسلوك العنيف لجمهور تلك الوسائل والباقي عن علاقة مضامين معينة لوسائل الإعلام بالسلوك المقبول اجتماعيا . وهذه المجموعة الأخيرة من الدراسات كان توزيعها كالتالي : ١٣ دراسة عن تأثير وسائل الإعلام في خلق سلوك الايثار و ٧ دراسات عن التأثير الإعلامي في خلق وتدعيم السلوك الودي لجمهور المستقبلين و ١٤ دراسة عن علاقة مضمون وسائل الإعلام بسلوك لبالغين للتغلب على مشاعر الخوف و ٤٢ دراسة عن تأثير وسائل الإعلام في تنمية سلوك ضبط النفس .

والتحليل من المستوى الثاني الذي استخدمه الباحث هنا ليس هو النمط البسيط من هذا الاجراء المنهجي والذي يقوم فيه الباحث بتحليل مادة أو بيانات **Data** كان بحث آخر قد قام بجمعها والوصول إلى مجموعة من النتائج قد تتفق أو تختلف عن النتائج التي توصل إليها الباحث الأصلي ان كان هذا الأخير قد تخطى مرحلة جمع البيانات إلى صياغة مجموعة من النتائج ، بل أنه أقرب إلى النمط الذي استخدمه باحثو الاتصال لي بيكر **Lee B. Becker** وراندي بيم **Randy Beam** وجون روشيال **John Russial** [1] في تحليلهم لأكثر من مئة بحث لتقويم آداء الصحف اليومية في بعض الولايات الامريكية في منطقة نيو انجلند بالساحل الشمالي

(1) Becker, Lee B., Randy Beam, and John Russial, 1978, "Correlates of Daily Newspaper Performance in New England", Journalism Quarterly, vol. 55 pp. 100–108.

الشرقي والتي كانت قد نشرت أصلا في كتاب حررته لورين حيجلوين **Loren Ghigloine** [1] عام ١٩٧٣ . هذا النمط من التحليل من المستوى الثاني **Type of Secondary Analysis** والذي يعد لي بيكر أشهر المتحمسين له في بحوث الإعلام اليوم [2] هو ببساطة وضع مجموعة من الدراسات أو البحوث جنباً إلى جنب بهدف المقارنة بينها عن طريق استخدام تحليل مضمون تلك البحوث وهو الاجراء الذي تحدد فئاته المتغيرات التي قاستها تلك الدراسات ، وأساليب القياس ، ثم النتائج التي توصلت إليها بحيث تقود تلك المقارنة في النهاية ليس فقط إلى تقويم تلك الدراسات ونقدها بل إلى الوصول إلى بناء نظري أوسع وأكثر صقلا **A More Substantive and Sophisticated Theorectical structure** من الابنية النظرية التي توصلت إليها كل دراسة على حدة .

النتائج ومناقشتها **Results and Discussions**

أولاً : العنف في وسائل الإعلام والسلوك العدواني للجمهور المستقبل :

رغم أن علاقة المضامين الإعلامية التي يصفها البعض بأنها عنيفة بظهور أنماط من السلوك العدواني أو غير المقبول إجتماعيا لدى مستهلكي تلك المضامين سبب قلقا في الأوساط العامة وبين الباحثين في الإعلام منذ ظهور قوة التليفزيون في الخمسينات إلا أن الستينات والسبعينات شهدت أعلى درجات القلق والاهتمام العام والعلمي بهذا الموضوع .

ففي عام ١٩٧٧ حدث بمدينة ميامي الأمريكية أثناء محاكمة روني زامورا **Ronnie Zamora** [3] والذي كان متهما مع صديق له بقتل سيدة مقعدة في الثمانين من عمرها ، حدث أن دفع محامي المتهم بأن موكله قد تعلم من التليفزيون أن القتل هو أفضل وسيلة يتم بها فرض الصمت على مصدر التهديد . فقد كانت الضحية قد شاهدت المتهم أثناء ارتكابه جريمة سطو على أحد المنازل المجاورة وهددته بأنها سوف تبلغ الشرطة بما رأت . وكان زامورا قد تعلم من التليفزيون - كما قال محاميه - أن الأموات لا يتكلمون ، وأن النموذج السلوكي الذي يقدمه التليفزيون للمشاهد هو نفس السلوك الذي سلكه موكله . الخلاصة هي أن محامي زامورا قدم

---

(1) Ghigloine, Loren, 1973, **Evaluating the Press: The New England Daily Newspaper Survey,** South Bridge, MA: Published by the editor.

(2) Becker, Lee B., 1989, "secondary Analysis" in Stempel, Guido H. and Bruce H. Westley, eds., 1989, 3nd (ed(, **Research Methods in Mass Communication,** Englewood Cliffs, N.J.: Prentice Hall, pp. 247–261.

(3) Lowery, Shearon A. and Melvin L. Fleur, 1988, Op. Cit., p. 353.

دفاعاً جديداً في نوعه للقضاء الأمريكي بل وللقضاء في العالم كله انه ما أسماه «التخدير بالتليفزيون **Television Intoxication** أو التغييب عن الوعي بالتليفزيون» . وحجته هي أن من يفعل شيئاً وهو تحت تأثير التخدير الإعلامي لايكون مسئولا بشكل كامل عما يفعل . فالتعرض لمضامين العنف المكثفة في التليفزيون هو الذي قاد زامورا إلى ارتكاب جريمته التي تصور أنها سلوك شائع يشاهده كل يوم تقريبا على الشاشة الصغيرة . فجريمته تنحصر في تقليد سلوك شاهده ويشاهده الملايين غيره كل يوم . ففي نظر الدفاع كان زامورا مدمنا للتليفزيون **Television Addict** وتربى على جرعات تليفزيونية وإعلامية يومية هي في معظمها عنف وجريمة ودراما ذات إيقاع سريع وصاخب **High Action Drama** . لهذا فإن المذنب الحقيقي في جريمة القتل البشعة التي راحت السيدة العجوز ضحية لها هو التليفزيون وليس موكله الذي هو في الحقيقة أحد ضحايا التليفزيون وغيره من وسائل الإعلام المزدحمة بالمحتوى العنيف .

صحيح أن القاضي حكم بإدانة زامورا وزميله مقررا في حيثيات الحكم أن التعرض للعنف والجريمة في التليفزيون أو غيره من وسائل الإعلام لايمكن إعتباره سببا أو مبررا للقتل العمد ، إلا أن العديد من الباحثين في الاتصال الجماهيري ، بل والجمهور العام في الولايات المتحدة وفي الدول العديدة التي تلتهم بشراهة مضامين وسائل الإعلام الأمريكية في معظم أنحاء العالم بدأوا يتساءلون بإلحاح عما إذا كانت مشاهدة التليفزيون سبباً مباشراً أو لعبت دوراً ما في تشكيل سلوك زامورا الذي جنح للعنف بل بدأنا جميعا نردد سؤالا جوهريا هو : ألا يمكن أن يكون أطفالنا ومراهقونا الجالسون أمام التليفزيون هم الآخرون زامورا صغاراً ـ أي قنبلة موقوتة تنتظر الظرف المناسب للانفجار كما كان زامورا الذي ما أن توفرت له الظروف المناسبة للسلوك العنيف حتى قلد بالضبط السلوك الذي تعلمه من التليفزيون . . ؟!

وزادت درجة الاهتمام بموضوع العنف في وسائل الإعلام والسلوك العدواني أو غير المقبول إجتماعياً حينما حدث بعد ذلك بشهور أن أشعلت جماعة من المراهقين في ولاية فلوريدا النار في بعض المشردين المسنين مباشرة بعد أن شاهد هؤلاء المراهقون حدثا مماثلا في فيلم تليفزيوني أذيع في إحدى أمسيات نهاية الأسبوع . وتكرر نفس الشيء في بوسطن حينما استدرجت عصابة من الصبية فتاة في العشرين من عمرها إلى مكان خال وإنهالت عليها ضربا ثم صبت البنزين عليها وأشعلت النار فيها وذلك بعد يومين فقط من إذاعة فيلم تليفزيوني صور سلوكا مماثلا [1] .

---

(1) Ibid, p. 353.

رغم أن أحداً من الباحثين في الإعلام أو في علم النفس والاجرام أو الاجتماع أو الطب النفسي لم يلق باللوم كله على وسائل الإعلام وعلى الأخص التليفزيون كسبب وحيد لظاهرة انتشار العنف بين أفراد المجتمع الأمريكي أو غيره من المجتمعات التي تعد جرعات المضامين العنيفة في وسائل إعلامها عالية بشكل ملحوظ ، إلا أن علاقة تلك المضامين بالسلوك العدواني أو العنيف أو غير المقبول إجتماعياً لقطاعات معينة من جماهير تلك الوسائل اصبحت مصدر قلق متزايد للجمهور العام وللعديد من باحثي الاتصال الجماهيري والعلوم الأخرى المهتمة بالموضوع خلال السبيعنات .

وقد انحصرت فئات التحليل للعلاقة بين العنف الإعلامي والسلوك العنيف لمستهلكيه في الدراسات التي تناولتها خلال السبعينات والثمانينات في أربع هي نفسها الفئات التي استخدمها تقرير المفوض الصحي العام للولايات المتحدة **Surgeon General** الثاني المنشور عام ١٩٨٢ فيما عدا الفئة الأولى وهي المراجعة التاريخية للجدال حول العنف الإعلامي والسلوك العدواني لجماهير وسائل الإعلام . هذه الفئات الأربع هي :

أ ـ قياس العنف في مضامين وسائل الإعلام وبالذات التليفزيون .
ب ـ الاتجاهات الكمية للعنف الإعلامي في تلك المضامين .
ج ـ تأثير العنف وبالذات المتلفز **Televised Violence** على سلوك المتلقي .
د ـ العمليات التي تنتج العلاقة بين العنف الإعلامي والسلوك العدواني [1] .

أ ـ قياس العنف في مضامين وسائل الإعلام :

إحدى المشاكل المنهجية الرئيسية في دراسة تأثير مضامين العنف الإعلامي على سلوك الجمهور المستقبل هي تعريف العنف أو المضمون العنيف . فقبل أن يتم فحص العلاقة بين هذين المتغيرين لابد من تحديد المتغير المستقل : أي العنف . لابد للباحث أن يوضح ما هو المقصود بالعنف ؟ وما هي المعايير التي يمكن على أساسها اعتبار المضمون الإعلامي عنيفا أو غير عنيف ؟ وكيف يمكن حساب درجات العنف المختلفة حتى يمكن دراسة العلاقة بين درجات العنف المختلفة وبين درجات السلوك العدواني المختلفة ؟ فسواء كانت الدراسة معملية أو حقلية

---

(1) Pearl, David, Lorraine Bouthilet and Joyce Lazar, (eds.), 1982, **Television and behavior: ten Years of Scientific Progress and Implications for the Eighties** vol.II, Washington, D.C.: Government Printing Office.

لابد أن يتم أولا تعريف العنف . ولابد من قياسه بمقاييس مقبولة وبعدها يمكن اختبار العلاقة سواء كانت سببية أو ارتباط أو نفي وجود علاقة على الاطلاق بين مضمون معين والسلوك الذي أبداه مستقبل هذا المضمون . فالقياس الموضوعي والثابت **Objective and Reliable Measure** للعنف هو الخطوة الأولى نحو اختبار العلاقة بين المتغيرين .

والمشكلة في تعريف العنف وبالتالي تحديد السلوك العدواني الذي قد ينتج عنه وقياس هذا العنف هي ماذكرته احدى باحثات الإعلام من أن الباحثين قدموا خلال العشرين سنة الماضية تعريفات للعنف تعددت بتعدد هؤلاء الباحثين [1] . ومع ذلك فكل التعريفات التي استخدمها الباحثون أجمعت على عناصر للعنف تبدو واحدة تقريباً وهي : التعبير الصريح **Overt Expression** عن استخدام القوة الجسدية **Physical Force** ، ضد الآخرين أو الذات ، لاحداث قتل أو جرح أو اصابة [2] . وأضافت بعض التعريفات أعمال التخريب للممتلكات والحوادث غير المتعمدة ، بينما ضمنت تعريفات أخرى العنف السيكولوجي مثل السب والاهانة . وضمن عدد يكاد يكون نادراً من الدراسات الكوارث الطبيعية مثل الزلازل والبراكين والفيضانات في العنف .

ويزيد من تعقيد هذه المشكلة الاجرائية صعوبة تحديد وحدات العد **Unitization** . فحتى يمكن عد أحداث العنف الإعلامية لابد من معرفة أين يبدأ حدث عنيف وأين ينتهي ليبدأ حدث آخر ، خصوصا فيما يتعلق بالدراما التليفزيونية . ورغم أن هذا التحديد قد يكون تعسفيا يقرره الباحث كجزء من التعريفات الاجرائية فإنه قد يؤدي إلى تضليل في النتائج إذا لم تكن عملية التحديد هذه معقولة وواقعية . لهذا فقد قدم مشروع المؤشرات الثقافية والتأثير المزروع **Cultivation Effect** الذي بدأه جورج جربنر وزملاؤه في مدرسة الاتصالات بجامعة بنسلفانيا تحديداً معقولاً للحدث العنيف في التليفزيون وبالذات في الدراما التليفزيونية بأنه «المشهد الذي يتضمن واحداً أو أكثر من أشكال العنف ويقتصر على نفس المشاركين [3] . معنى ذلك أن أي مشهد يضم مشاركين جددا يعد حدثا مستقلا جديدا قائما بذاته .

---

(1) Signiorelli, Nancy, Larry Gross and Michael Morgan, 1982, "Violence in Television Programs: Ten Years Later", in Pearl, D. et al., op. Cit., p. 158.

(2) Gerbner, George, 1971, "Violence in TV Drama: Trends and Symbolic Functions", in Comstock, G. and E.A. Rubinstein, eds., **Television and Social Behavior, Vol.I, Media Content and Control,** Washington, D.C.: Government Printing Office.

(3) Gerbner, George and Larry Gross, 1976, "Living with Television: The Violence Profile", Journal of Communication, vol. 26, no. pp. 173–199.

المشكلة الثالثة التي يثيرها قياس العنف هي مؤشرات العنف **Violence Indices** في كل حدث يعد عنفا . والمؤشر كما عرفه جربنر وزملاؤه هو «المقياس المركب **Composite Measure** الذي يلخص عدة ملاحظات ويمثل بعدا أكثر عمومية في قياس العنف . وهو يشمل ثلاثة مكونات من البيانات هي : البروز **Prevalence** ، المعدل **Rate** ودور العنف **Role of Violence** [1] ، والبروز هو النسبة المئوية للمواد الإعلامية التي تحتوي على عنف من المضمون الكامل لوسيلة ما خلال فترة زمنية أو ضمن عينة معينة للدراسة . أما المعدل فهو تكرار أحداث العنف في وحدات البرامج أو وحدات الوقت وبذلك يمكن قياس المعدل في الساعة أو المعدل في العدد الواحد من الصحيفة أو البرنامج . وأخيراً فإن الدور هو تصوير الشخصيات كمرتكبي لأعمال العنف أو ضحايا لتلك الأعمال وبذلك يمكن حساب نسبة الشخصيات العنيفة أو نسبة ضحايا العنف إلى مجموع الشخصيات في البرنامج أو العرض أو القصة الخبرية أو الدراما الاذاعية أو التليفزيونية . صحيح أن مؤشر العنف بهذا الشكل يعد مؤشراً تعسفياً - أي حدده مستخدموه وقد يختلف عليه الآخرون ، لكن هذه هي حال كل المؤشرات التي تستخدم في العلوم الاجتماعية أو حتى في الاقتصاد مثل مؤشر الناتج القومي **GNP** [2]

ب - الاتجاهات الكمية للعنف الإعلامي :

يتطبيق التعريف ووحدات العد ومؤشرات القياس السابقة نجد أن وسائل الإعلام الأمريكية ، وبالذات التليفزيون ، هي الوحيدة بين وسائل الإعلام في العالم التي تم قياس العنف في مضمونها خلال فترات زمنية طويلة [3] . فمنذ ١٩٦٧ ومشروع المؤثرات الثقافية أو ما أسماه جورج جربنر وزملاؤه «ملف العنف **"Violence Profile"** يقدم قياسا كميا للعنف في التليفزيون أمكن من خلاله بيان اتجاهات مضامين العنف خلال سنوات طويلة وفي أوقات بث مختلفة . ودون الدخول في التفاصيل نستطيع أن نؤكد أن مستوى العنف في وسائل الإعلام الأمريكية - التي تشكل مضامينها جزءاً غير قليل من محتويات وسائل الإعلام في الدول

---

(1) Signiorelli, N., L. Gross and Michael Morgan, 1982 "Violence in Television Programs: Ten Years Later", in D. Pearl et al, Op. Cit., p. 165.

(2) Lowery, S. and M. De Fleur, Op. Cit., p. 367.

(٣) مع العلم بأن هناك دراسات محدودة لقياس العنف في بريطانيا والسويد واسرائيل .

الأخرى [١] في ارتفاع مطرد [٢] . صحيح أن مستوى العنف قد انخفض في فترات قصيرة في أوقات بث معينة خلال المدة من ١٩٦٧ الى ١٩٧٩ بشكل عام ، إلا أنه تزايد خلال تلك الفترات في أوقات ذروة المشاهدة **Prime-time** وأثناء نهار عطلات نهاية الأسبوع . ولم يقتصر الارتفاع على المستوى العام للعنف فقط بل ان عدد أحداث العنف في كل برنامج على حده شهد هو الآخر تزايداً منذ بدأ القياس للمحتوى في التليفزيون الامريكي بشبكاته الرئيسية . ولم يهبط متوسط عدد أحداث العنف في أي برنامج تم دراسته عن ٤ر٤ أحداث منذ عام ١٩٧١ .

وأخطر من النتيجة السابقة نتيجة أخرى تسبب المزيد من القلق وهي أن مستوى العنف في برامج الأطفال التي تتركز أوقات بثها في نهار عطلة نهاية الأسبوع ظل عالياً نسبياً . صحيح أن ارتفاعه لم يأخذ اتجاها خطيا **it was non-linear** فقد تأرجح بين الارتفاع الحاد والانخفاض الحاد من سنة إلى أخرى ، إلا أنه بشكل عام كان عالياً . ووصل أعلى مستوياته عام ١٩٧٨ في حين شهد العالم التالي أدنى تلك المستويات [٣] .

ج ـ تأثير العنف الإعلامي على سلوك الجمهور المستقبل للرسالة :

قد لانكون مبالغين اذا قررنا أن البحث الاتصالي لم يحقق للآن تقدما في أي مجال من مجالاته ، ربما باستثناء مجال تكنولوجيا الاتصال ـ يوازي التقدم الذي حققه في مجال دراسة علاقة العنف الإعلامي بسلوك المستهلكين الدائمين له . ولايظهر هذا التقدم فقط في نوعية المناهج والأدوات التي استخدمت في البحث ، بل انعكس نتيجة لكفاءة تلك المناهج والأدوات على دقة صياغة النتائج وقابليتها للتعميم . فهناك فارق كبير بين الطريقة التي صاغ بها باحثو الاتصال الأوائل نتائج دراساتهم وبين دقة الصياغة التي نجدها اليوم في بحوث الاتصال . ويكفي أن نذكر مثالا هنا . ففي أشهر دراسة تم نشرها عام ١٩٦١ بعنوان «التليفزيون في حياة أطفالنا» [٤] ذكر الباحثون أن أهم النتائج هي «أن بعض محتوى التليفزيون قد يكون له تأثير ضار على سلوك بعض

---

(١) هذه الظاهرة يطلق عليها بعض الدارسين أمركه التليفزيون الدولي **"Americanization of World Televisi-on"** .

(2) Gerbner, G., L. Morgan and N. Signorelli, 1980, "The Mainstreaming of America: Violence Profile No. 11. Journal of Communication, vol. 30, pp. 10–27.

(3) Pearl, David, Lorraine Bothilet and Joyce Lazar, (eds.), 1982, Op. Cit., p. 168.

(4) Schramm, Wilbur, jack Lyle and Edwin B. Parker, 1961, **Television in the Lives of our Children,** Stanford Cal.: Stanford University Press, p. 13.

الأطفال تحت بعض الظروف : **television is harmful For some children under some conditions some** .

ومع ذلك فإن نفس ذلك المحتوى قد يكون نافعاً أو مفيداً لبعض الأطفال الآخرين تحت نفس الظروف أو لنفس الأطفال تحت ظروف مختلفة . **be beneficial or for the same children under other conditions it may for other children , under the same conditions ,** ومن هنا فإن معظم المحتوى التليفزيوني في أغلب الظروف ربما لايكون له تأثير لا ضار ولا نافع بشكل واضح على معظم الأطفال !! **particularly beneficial Most television is probably neither harmful nor** . وبعدها بعشرة أعوام أي عام ١٩٧١ استطاع ثلاثة باحثين في الاتصال أن يدرسوا نفس العلاقة وان يصلوا إلى نتائج محددة صاغوا بعضها كما يلي :

١ ـ أن مضمون وسائل الإعلام وعلى الأخص التليفزيون مشبع بالعنف بشكل مكثف **Heavily saturated with violence** .

٢ ـ أن الأطفال والبالغين يقضون وقتا يتزايد يوما بعد يوم في التعرض لهذا المحتوى العنيف .

٣ ـ ان هناك دلائل تؤكد الفرض القائل بأن التعرض للعنف الظاهر في محتوى المواد الترفيهية في وسائل الإعلام وبالذات التليفزيون يزيد من احتمال ظهور درجة أكبر من العدوانية في سلوك الجمهور . هذه الدلائل اثبتتها كل من التجارب المعملية التي تسمح بالاستدلال السببي أو العلي **Causal Inference** والمسوح الاجتماعية التي وفرت دلائل من واقع الحياة اليومية على علاقات الارتباط الايجابية بين المتغيرين : أي العنف الإعلامي والسلوك العدواني [١] .

وبعد ذلك بعشرة أعوام أخرى توصل باحثو الإعلام مثل رويل هوزمان **Rowell Huesmann** [٢] وج . ل . سنجر ود . ج سنجر [٣] إلى أن الدراسات التجريبية قد أثبتت بما لايدع مجالاً للشك **It is beyond challenge** أن هناك علاقة سببية بين العنف

---

(1) Comstock, george and E.A. Rubinstein, (eds.), 1971, **Television and Social Behavior,** vol. III: Television and Adolescent Agressiveness, Washington, D.C.: Government Printing Office.

(2) Huesmann, Rowell, 1982, "television Violence and Aggressive Behavior", in Pearl, D., L. Bothilet and J. Lazar, Op. Cit., p. 127.

(3) Singer, J.L. and D.G. Singer, 1980, **Television, Imagination and Aggression: A Study of Preschoolers, Play,** Hillsdale, N.J.: Erlbaum.

الإعلامي والسلوك العدواني للجمهور المستقبل . وان الجدال الذي يدور بشأن تلك العلاقة يتعلق بمنهج البحث في الدراسات الحقلية التي تعتمد على استمارات الاستبيان أو الملاحظة بالمشاركة أو جماعات المناقشات المحورية .

يبدو من تحليلنا للدراسات المختلفة التي شملتها دراستنا أن معظم الباحثين سواء في السبعينات أو الثمانينات يوافقون على أن هناك علاقة سببية بين العنف الإعلامي وبين السلوك العدواني الذي يبديه الجمهور سواء تم قياس هذا السلوك بعد التعرض مباشرة أو في مرحلة تالية من العمر . وقد أكدت هذه النتيجة معظم دراسات الثمانينات وهي في غالبيتها العظمى دراسات حقلية حيث لم يعد إثبات تلك العلاقة في المعمل محل خلاف ، وأذكر هنا بعض الأمثلة لتلك الدراسات الحقلية .

أول تلك الدراسات هي تلك التي قام بها سنجر وسنجر [1] وفيها نفذا بحثين مستقلين استخدما فيهما الملاحظة بالمشاركة لسلوك عدد كبير من الأطفال في سن الثالثة والرابعة وذلك لمدة عام كامل . وقاست الدراسة عدداً من المتغيرات في أربعة فترات زمنية خلال العام . وتوصلت إلى أن مشاهدة الأطفال للتليفزيون في المنزل ارتبطت بأنماط السلوك المختلفة التي أبداها الأطفال في أوقات اللعب الحر في مراكز الرعاية اليومية **Day Care Centers** . وأظهرت تحليلات التباين للبيانات التي جمعها الباحثان أن مشاهدة التليفزيون وبالذات مشاهدة العنف هي أحد أسباب العدوانية البارزة **Hightened Aggressiveness** في سلوك الأطفال في هذه السن [2] .

الدراسة الثانية هي تلك التي قام بها مكارثي **E. D. Mc Carthy** وزملاؤه وهي دراسة طولية **Longitudinal** إستغرقت خمس سنوات قام فيها الباحثون بجمع بيانات عن عينة من الأطفال بلغت ٧٣٢ مفردة . وأيدت تلك البيانات الفرض القائل بأن مشاهدة العنف مرتبطة ارتباطاً إيجابياً بالسلوك العدواني للأطفال . فأنماط السلوك العدواني المختلفة التي تمت ملاحظتها مثل الشجار مع الزملاء ، والخلاف مع الوالدين أو حتى الانحراف **Delinquency** كانت كلها مرتبطة ارتباطاً إيجابياً مع مشاهدة العنف على شاشة التليفزيون . وتلك نتيجة ليست جديدة . لكن الجديد هو أن الباحثين توصلوا إلى أن هناك علاقة إرتباط إيجابية بين حجم مشاهدة

---

(1) Singer, J.L. and D.G. Singer, 1980, Op. Cit.

(2) Ibid, p. 127.

العنف وبين درجة العدوانية التي ظهرت في سلوك الطفل [1] فأيا من الدراسات السابقة لم تقس العلاقة بين كم التعرض (المشاهدة) ودرجة العدوانية التي يبديها الطفل .

أما الدراسة الثالثة فهي التي قام بها ايرون **Eron** وهيوزمان[2] وفيها جمع الباحثان بيانات مكثفة عن سلوك الاطفال في ثلاث دول هي : الولايات المتحدة وفنلندا وبولندا . ودلت البيانات على انه في كل دولة من الدول الثلاث كانت هناك علاقة ارتباط ايجابية بين العنف في وسائل الإعلام وعلى الأخص التليفزيون وبين السلوك العدواني لكل من الاولاد والبنات في المرحلتين الابتدائية والإعدادية . وتميز هذه الدراسة هو في أنها استطاعت أن تثبت العلاقة الايجابية بين العنف الإعلامي والسلوك العنيف ليس عبر الثقافات فحسب ، ولكن لدى البنين والبنات أيضا بعد أن كانت كل الدراسات السابقة تبحث في تلك العلاقة بالنسبة للبنين فقط .

باختصار تلك عينة صغيرة من الدراسات التي أثبتت علاقة العنف الإعلامي بالسلوك العدواني . وهناك اليوم ثلاثة باحثين على الأقل أعدوا حديثا مصنفات تشمل ملخصات للبحوث التي تربط التعرض للعنف الإعلامي بالسلوك العدواني للمتعرضين وبالذات بالنسبة للأطفال والمراهقين[3] . ومع أن تلك المصنفات لا تخلوا من الشوائب إلا أنها تؤكد بشكل مقنع الأدلة القاطعة على وجود علاقة ايجابية بين التعرض للعنف في وسائل الإعلام والسلوك العدواني للمتعرضين بكثافة لذلك العنف .

وإذا كانت غالبية الباحثين تؤكد وجود علاقة إيجابية بين العنف الإعلامي والسلوك العدواني للجمهور المستقبل ، فان ذلك يعني بالضرورة أن هناك أقلية من الباحثين لا تقبل وجود تلك العلاقة . . هؤلاء الباحثون جاء معظمهم من علوم اجتماعية غير الاتصال . ونقدهم ورفضهم لوجود تلك العلاقة لا يأتيان من مراجعتهم لدراسات بعينها بل من التوجه العام في مناهج البحث في العلوم الاجتماعية ، هذا التوجه الذي يشكك في امكانية اثبات علاقة السببية في العلوم الاجتماعية والانسانية . فهم يجادلون في أن أساليب الاستدلال والتحليلات الاحصائية التي تستخدم فيها هي أساليب وتحليلات جامدة يصعب استخدامها للتعامل مع الظاهرة الاجتماعية أو الانسانية .

---

(1) McCarthy, E.D., et al., 1975 "Violence and Bahavior Disorders", Journal of Communication, vol. 25, no. 4, pp. 71–85.

(2) Eron, E.D. and L.R. Huesmann, 1980, "Adolescent Aggression amd Television", Annals of the New York Academy of Sciences, 347, pp. 319–331.

(3) Huesmann, Rowell L., Op. Cit., p. 128.

هل هناك دراسات نفت وجود علاقة ، سواء كانت سببية أو علاقة ارتباط ايجابي ، بين العنف الإعلامي وبين السلوك العدواني ؟

في مقابل وفرة المقالات النقدية **Critiques** التى شككت في نتائج البحوث التي أثبتت وجود علاقة سببية عن طريق التصميم التجريبي أو وجود علاقة ارتباط إيجابية عن طريق الدراسة الحقلية باستخدام أدوات بحثية عديدة ، فان هناك ندرة في الدراسات الامبريقية التي نفت وجود تلك العلاقة سواء بالاختبار في المعمل أو بمسحها في الواقع . وحتى تلك الدراسات النادرة لم تستطع أن تنفي وجود أية علاقة على الاطلاق ، بل شككت في قوة تلك العلاقة أو قصرتها على نمط واحد ونفت الأنماط الأخرى . فبعض تلك الدراسات نفت وجود تأثير تراكمي طويل الأمد **Cumulative long - term effect** فقط للمحتوى الإعلامي العنيف ولكنها أقرت بوجود تأثير مباشر وقصير المدى على سلوك الجمهور المستقبل اذا تم القياس بعد التعرض مباشرة[1] . وأشهر تلك الدراسات هي دراسة رونالد ميلافسكي **Ronaldmed Milavsky** وزملاؤه . والبعض الآخر نفى وجود التأثير المباشر **Immediate short - term** قصير المدى وأقر بوجود تأثير تراكمي طويل المدى وغير مباشر يتمثل في إعادة تشكيل الحقيقة الاجتماعية **Social Reality** التي ترشد السلوك الانساني[2] .

د ـ العمليات التي تنتج العلاقة بين العنف الاعلامي والسلوك العدواني :

لم يعد الاهتمام الأساسي اليوم للعديد من باحثي الاتصال هو البحث في وجود علاقة بين العنف الإعلامي والسلوك العدواني بل يذهب هؤلاء الباحثون إلى ما وراء ذلك ليبحثوا في العمليات التي تنتج تلك العلاقة . وهناك اليوم أربع عمليات ممكنة لانتاج تلك العلاقة هي :

---

(1) Milavsky, Ronald J., Ronald Kessler, Horst Stipp, and William S. Rubens, 1982, "Television and Aggression: Results of a Panel Study", in Pearl, D., L. Bouthilet and J. Lazar, Op. Cit., pp. 138–157.

(2) Gerbner, George, L. Gross, M. Morgan and N. Signiorelli, 1986, "Living with Television: The Dynamics of the Cultuvation Process", in Bryant, J. and D. Zillmann, eds., **Perspectives On media Effects,** Hillsdale, N.J.: Lawrence Erlbaum, pp. 17–40.

Hawkins, Robert et al., 1987, "Searching for Cognitive Processes in the Cultivation Effect", Human Communication Research, vol. 13, No. 4, pp. 553–577. Hawkings, R.P. and S. Pingree, 1986, "activity in the Effects of Television on Children", in Bryant, J. and D. Zillmann., Cit., pp. 233–250.

التعليم بالملاحظة **Observational Learning** أو التعلم الاجتماعي **Social Learning** أو النمذجة وتغيير الاتجاهات **Attitude Changes** والاستثارة الفسيولوجية **Physiological Arousal** ، وأخيرا عمليات التبرير **Jusification Processes** [1] .

١ ـ التعلم بالملاحظة أو التعلم الاجتماعي والنمذجة **Modeling** :

ويقرر نموذج التعلم بالملاحظة أو التعلم الاجتماعي الذي يعد ألبرت **Albert Bandura** أشهر رواده[2] أن الاطفال (والبالغين) يتعلمون من وسائل الإعلام السلوك العدواني بنفس الطريقة التي يتعلمون بها المهارات المعرفية والسلوكية من الوالدين والاسرة والرفاق والمدرسة وغيرها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية .

ولو أننا ينبغي عند مناقشة النمذجة أو التعلم الاجتماعي أن نميز بين اكتساب سلوك جديد **Acquision** وقبول ذلك السلوك . بمعنى آخر ينبغي أن نميز بين القدرة على تكرار سلوك كان غير مألوف من قبل (إكتساب) وبين القيام الفعلي بسلوك هو نفس السلوك أو يشبه السلوك الذي تم ملاحظته (قبول) . فامكانية اكتساب سلوك ما من خلال الملاحظة وإستبقائه **Retain It** دون القيام به مباشرة أو أدائه على الاطلاق لها مغزاها في فهم تأثيرات وسائل الإعلام . فاذا استطاع الفرد أن يكتسب سلوكا جديدا خلال التعلم الاجتماعي من وسائل الإعلام فلديه القدرة على إعادة إنتاجه خصوصا اذا وجد نفسه في موقف يجعل هذا الانتاج أو الآداء يبدو مفيدا أو مرغوبا فيه ـ على سبيل المثال موقف يشبه الموقف الذي تم تعلم السلوك فيه . ومن هنا ، فمع أن تعلم سلوك ما لا يعني بالضرورة أداء هذا السلوك إلا أنه يزيد من احتمال هذا الأداء الذي كان غير محتمل بدون هذا التعلم .

فالتعلم الاجتماعي يغير في إطار السلوكيات المحتملة التي قد يبديها الطفل إذا تمت اثارته أو وقع تحت ضغط ما خصوصا في موقف جديد عليه . ولهذا فيمكن أن نتصور عملية التعلم الاجتماعي أو النمذجة على أنها مراحل ثلاث[3] :

---

(1) Lowery, Shearon A. and Melvin L. Fleur, 1988, Op. Cit., p. 361.

(2) Bandura, Albert, 1965, "Influence of Models: Reinforcement Contingencies on the Acquision of Imitative Responses", Journal of Personality and Social Psychology, vol. 1, pp. 589–595.

(3) Lowery, Shearon and Melvin De Fleur, 1988, Op. Cit., p. 305.

١ ـ في الأولى يتعرض الفرد **Is Exposed** لسلوك فرد آخر سواء كان هذا الآخر نموذجا حيا مثل التعرض المباشر لسلوك الآخرين أو نموذجا رمزيا **Symbolic Model** كما هو الحال في السلوكيات المعروضة في وسائل الأعلام .

٢ ـ في الثانية يكتسب الفرد السلوك ويصبح قادرا على أداء ما سمع أو شاهد أو قرأ .

٣ ـ في الثالثة يقبل الفرد أو يرفض النموذج السلوكي الذي اكتسبه وأصبح قادرا على آدائه كمرشد لسلوكه أو أفعاله هو .

واذا طبقنا ذلك على العنف في وسائل الإعلام نجد أن الجمهور المستقبل يتعرض له (المرحلة الأولى) وأن هذا الجمهور وبالذات الاطفال والمراهقين يتعلمون بلا شك من هذا التعرض وما كان غائبا هو دراسة الظروف التي تجعل الجمهور يقبل ذلك السلوك حتى جاء بندورا **Bandura** [1] وأجرى دراسة معملية أثبت فيها أن مجموعة الأطفال التي شاهدت فيلما تليفزيونيا تقوم فيه عارضة أزياء ببعض الأعمال العدوانية ضد دمية دون أن تعاقب على ذلك ومجموعة الأطفال التي شاهدت نفس العارضة ترتكب تلك الأعمال العدوانية ضد الدمية وتكافأ عليها . . هاتان المجموعتان من الأطفال قلدتا نفس السلوك أثناء ساعات اللعب . أما مجموعة الأطفال التي شاهدت عارضة الازياء تعاقب على أعمالها العدوانية ضد الدمية فقد أبدت استجابات عدوانية وتقليدا أقل بكثير في ساعات اللعب وهي نتيجة لا تحتاج إلى مزيد من الايضاح . ومع ذلك فحينما طلب الباحث من كل المجموعات فيما بعد أن يقلدوا ما أمكنهم من الأفعال العدوانية لعارضة الازياء **Reproduce As Many Acts** وكانت هناك مكافأة على ذلك أبدت كل المجموعات درجة عالية ومتشابهة من التعلم . وهو ما يثبت بما لا يدع مجالا للشك بأن الاطفال تتعلم السلوك العدواني من العنف الاعلامي .

هذه التجربة وغيرها كثير ركزت على نوعين من التأثير للعنف في مضامين الإعلام على سلوك الجمهور المستقبل . هذا النوعان هما : التقليد **Imitation** والتحريض **Instigation** [2]

والتقليد هو الأثر الذي يحدث حينما ينسخ الطفل أو البالغ نفس ما شاهده أو سمعه وقرأه . أما التحريض فهو ما يحدث حينما يتبع التعرض للعنف تزايد عام في النزعة العدوانية للفرد

---

(1) Bandura, Albert, Op, Cit., p. 590–595.

(2) Lowery, S. and M. De Fleur, Op. Cit., p. 306.

المستقبل للرسالة . فحينما يشاهد طفل مباراة في الملاكمة على شاشة التليفزيون قد يقدم على القيام بعدد أكبر من الأفعال العدوانية التي قد لا تشبه السلوك الذي شاهده على الشاشة . معنى ذلك أن السلوك الذي يبديه الطفل بعد التعرض قد يختلف في طبيعته ودرجته عن السلوك الذي شاهده أو تعرض له لكن الاتجاه العام هو تزايد أعداد ودرجات الأعمال العدوانية في هذا السلوك .

ولكن هل يقلد كل الأطفال أو البالغين سلوك كل النماذج العنيفة التي يتعرضون لها في وسائل الإعلام ؟ بالطبع لا . فتقليد السلوك العدواني يعتمد إلى حد كبير على :

أ ـ درجة توحد المستقبل مع النموذج الرمزي

Receiver's Identification With the Symbolic Model

الذي يعرض في وسائل الاعلام .

ب ـ مدى إدراك الجمهور المستقبل لامتلاك النموذج الذي يتم تقليده لخصائص واقعية وذات قيمة

Pereived Realistic and Valued Characteristics .

ج ـ مدى تطابق إشارات الموقف **Cues** الذي تم فيه تعلم السلوك مع الموقف الذي يجد فيه المستقبل نفسه . فاذا وجد الفرد نفسه في موقف مماثل للموقف الذي شاهد فيه النموذج وقدم هذا الموقف حلا للمشكلة التي يواجهها المتعرض فان هناك احتمالا أكبر لاسترجاع السلوك الذي تم تعلمه والاقدام عليه . وهنا نتذكر حالة حادثة بوسطن التي أشعلت فيها عصابة من الصبية النار في الفتاة حينما توفر لها نفس الموقف الذي شاهدته في الفيلم التليفزيوني[1] .

٢ ـ تغيير الاتجاهات **Attitude change** :

الطريقة الثانية التي يعتقد الباحثون أن العنف الإعلامى يؤثر بها على سلوك الجمهور وبالذات جمهور الاطفال والمراهقين هي التأثير على اتجاهاتهم **Favorable Attitudes** نحو العنف لدى أفراد ذلك الجمهور وعلى الأخص الأطفال والمراهقين[2] . ويميل المشاهدون الدائمون للتليفزيون بشكل عام إلى اظهار اتجاه أكثر إيجابية **More Positive Attitude** نحو

(1) Ibid., p. 362.

(2) Heusmann, L.R., L.D. Eron, R. Klein, P. Brice, and P. Fischer, 1981, "Mitigating the Imitation of Aggressive Behaviors", Technical Report, Chicago: Department of Psychology, University of Illinios.

العنف من ذلك الذي يبديه المشاهدون النادرون للتليفزيون . ذلك أن المشاهدين الدائمين يدركون السلوك العدواني على أنه عادي **It Is the Norm** [1] وهو ما يسميه البعض تقليل حساسية الجمهور نحو العنف **Desensitization** . ذلك أن المشاهدين الدائمين للتليفزيون أكثر قابلية لتصور الواقع على أنه أقرب إلى الواقع التليفزيوني **Reality Is More Like Tv Reality** [2] ، صحيح أن بعض الدراسات أثبتت أن مشاهدة العنف تؤدي إلى اتجاه أكثر رفضا للعنف إلا أن الغالبية العظمى من البحوث أثبتت أن الاتجاه العام هو أن التعرض للعنف بشكل مسمر يؤثر على اتجاه المشاهدين بزيادة قبولهم للعنف على أنه طبيعي . المشكلة الرئيسية هنا هي أن الاتجاهات في بعض الأحيان قد تتناقض في طبيعتها مع طبيعة السلوك .

فالاتجاه المواتي للعنف لدى الطفل أو المراهق لا يتبعه بالضرورة سلوك عدواني ، ومازلنا في حاجة إلى دراسات تؤكد أو تنفي مدى إتساق الاتجاه مع السلوك لدى الفرد .

٣ ـ الاستثارة الفسيولوجية والانفعالية
: Physiological and Emotional Arousal

يفترض بعض الباحثين[3] أن عمليات الاستثارة الانفعالية والفسيولوجية هي العامل الوسيط **Interveing Factor** بين التعرض للعنف وتغيير الاتجاهات نحوه . ومع أن بحث تأثير التعرض للعنف على عمليات الاستثارة شهد تزايدا ملحوظا في السبعينات[4] والثمانينات نتيجة لتطور المفاهيم النظرية وأدوات القياس في بحث ذلك الموضوع ، فمازالت هناك درجة كبيرة من الغموض والاختلاط حول طبيعة تأثير التعرض للعنف الإعلامي على عمليات الاستثارة أو الاثارة الفسيولوجية والانفعالية . فبينما قرر بعض الباحثين أن العنف الإعلامي وبالذات في التليفزيون يجعل الأطفال نشيطين بشكل مفرط أو مرضي **Hyperactive** وذلك بشحنهم الزائد بالمثيرات **Overloading Them With Stimulation** ، خلص باحثون آخرون إلى أن العنف في التليفزيون «يخدر **Anesthetize** » الأطفال بشحنهم بالاثارة[5]

---

(1)Lowery, S. and M. De Fleur, Op. Cit., p. 363.

(2) Hawkins, R., S. Pingree and I. Adler, 1987, Op. Cit., p. 573.

(3) Ibid., pp. 363–364.

(4) Ibid, pp. 376–377.

(5) Cline, V.B., R.G. Croft and S. Courrier, 1973, "Desensitization of Children to Television Violence", Journal of Personnality and Social Psychology, vol. 27, pp. 360–365.

ويتم قياس الاستثارة بطرق مختلفة طبقا للاطار النظري الذي يستخدمه الباحث. ومع ذلك فإن غالبية البحوث حددت الاستثارة بأنها « القوة المتكاملة **Unitary Force** التي تستحث **Energizes** وتزيد حدة **Intensifies** أي سلوك توجه وسيلة مستقلة **Means Behavior That Receives Direction by Independent**[1] .

معنى ذلك أن الاستثارة يمكن تصويرها على أنها حالة منشطة لسلوك وليست مرشدة لهذا السلوك **An Energizer, Not A guide to Behavior** .

وبشكل عام ، تشير البحوث إلى أن التعرض لوسائل الإعلام يقلل من حالة الاستثارة التي قد يشعر بها المتعرض سواء كانت استثارة فسيولوجية أو انفعالية . فالحياة اليومية للانسان العصري تشحنه بالاثارة ولهذا فقد يعرض نفسه لوسائل الإعلام في محاولة لتفريغ تلك الشحنة أو للتقليل منها . على أن محتوى الرسالة الإعلامية هو الذي يحدد اذا ما كانت ستؤدي الى تقليل حالة الاثارة أو التوتر لدى المستقبل أو تزيد منها أو قد تخلقها لدى المستقبل غير المتوتر . فقد توصلت دراسة تعرضت فيها مجموعة من البالغين المتوترين لبرنامج عنيف في التليفزيون بينما تعرضت مجموعة أخرى مماثلة في الخصائص لبرنامج خال من العنف إلى أن البرامج العنيفة تزيد من استثارة المستقبل المتوتر بينما أبدى المستقبلون المتوترون الذين تعرضوا لبرنامج محايد ، أي لا صلة له بالعنف درجة أقل من التوتر والعدوانية[2] . وأشارت دراسة أخرى إلى أن التعرض للعنف يؤدي إلى استمرار حالة النزوع للعدوان الموجود لدى المتعرض بالفعل[3] **"Media Violence Tends To Perpetuate an Existing Propensity for Aggression"** . اذا كان ذلك صحيحا لماذا إذن يلجأ الجمهور المستقبل إلى التليفزيون أو الى الصحيفة من أجل الاسترخاء اذا كانت هناك محتويات في الوسيلتين قد تزيد من حالة التوتر ؟ دلت البحوث الحديثة على أن المستقبلين الذين يشعرون بحالة من الاستثارة **Arousal** ينتقون من مضامين وسائل الإعلام المواد التي لا تؤدي إلى استمرار حالة التوتر أو المحافظة على درجتها[4] .

---

(1) Zillmann D., 1982, "Television Viewing and Arousal", in Pearl, D., L. Bothilet and J. Lazar, Op. Cit., Vol. II, p. 53.

(2) Zillmann, D. and R.C. Johnson, 1973, "Motivated Aggressiveness Perpetuated by Exposure to Non-Aggressive Films and Reduced by Exposure to Aggressive Films", Journal of Research in Personality, Vol. 7, pp. 261–267.

(3) Donnerstein, E., M. Donnerstein and G. barret, 1976, "Where is the Faciliation of Media Violence: The Effects of Non–Exposure and Placement of Arousal", Journal of Research in Personality, Vol. 10.

(4) Lowery, S. and M. De Fleur, Op. Cit., p. 378.

ما علاقة حالة الاستثارة **Arousal** بالسوك ؟

دلت البحوث على أن التأثير السلوكي العاجل والمباشر للعنف الإعلامي قدلا يأتى من مضمون العنف نفسه بل قد يكون سببه هو حالة الاستثارة التي حافظ عليها التعرض للعنف[1] .

ماذا عن فرضية التطهير **Catharsis Hypothesis** التي تقول ان التعرض للعنف في وسائل الإعلام يؤدي إلى تقليل حالة العدوانية لدى المتعرض ذلك أن التعرض يعد نوعا من المشاركة في العنف وبالتالي ينفس عن الفرد دون اللجوء إلى المشاركة الفعلية في العنف . حقيقة الأمر أن هذه الفرضية تعارضها كل البيانات التي جمعتها كل البحوث في الموضوع سواء كانت بحوثا تجريبية أو مسوحا ودراسات حقلية . ولهذا فليس هناك أي دليل على صحتها .

٤ ـ عمليات التبرير **Justification Processes** :

وطبقا للفرض الذي يقف خلف تلك العمليات فان الأفراد ذوى النزعة العدوانية يرغبون في التعرض للمضامين العنيفة في وسائل الإعلام ويفضلونها ، ويبحثون عنها ، في تلك الوسائل لأنهم يستخدمونها لتبرير سلوكهم العدواني على أنه سلوك سوى عاد طالما أنه متعدد النظائر في وسائل الاتصال الجماهيري . وتلك العمليات أشبه بتغيير الاتجاهات لكنها تعمل في الاتجاه المعاكس . فالعنف في وسائل الإعلام لا يسبب السلوك العدواني لدى المستقبل طبقا لهذا الفرض ، بل ان الشخص العدواني هو الذي يبحث عن العنف ويستهلكه . . والعنف الإعلامي بذلك لا يسبب السلوك العدواني بل ينتج عنه بالنسبة للفرد المستقبل له[2] . فالسلوك العدواني لدى الفرد يؤدي إلى خلق شعور بالذنب **Guilt** . وهذاالشعور بالذنب يتم تخفيفه بالتعرض لوسائل الإعلام التي تتعامل مع العنف وتعطي له بروزا **Salience** وتكرره في رسائلها بشكل يجعله عاديا **Normalize** .

هذا الفرض إذن يقول إن الطفل أو المراهق أو البالغ ذا السلوك العدواني **Who Behaves Aggressively** لم يتعلم العنف من وسائل الإعلام وانما يتعرض للعنف الإعلامي حتى

---

(1) Tannebeaum, P.H. and D. Zillmann, 1975, "Emotional Arousal in the Faciliation of Aggression through Communication", in Berkowitz, L., ed., **Advances in Experimental Social Psychology**, Vol. 8, New York: Academic Press.

(2) Lowery. S. and M. De Fleur. Op. Cit., p.364.

يبرر عنفه هو أو عدوانيته هو . فما صحة هذا الفرض ؟ ان البحوث التي حاولت اختبار هذا الفرض تعد نادرة . ولهذا فليس بالامكان الآن ان نؤكد صحة هذا الفرض أو ننفيه بناء على التراث العلمي المتوفر حاليا .

ويعد هذا المجال من المجالات البحثية التي ينبغي أن يتجه إليها باحثو الاتصال بالدراسة والتمحيص .

ثانيا : وسائل الإعلام والسلوك المقبول اجتماعيا Prosocial Behavior :

إذا كانت السبعينات والعقود الثلاثة السابقة عليها قد شهدت تركيزا على دراسة التأثير السلبي لوسائل الإعلام في خلق أو تدعيم أنماط السلوك غير المقبولة اجتماعيا وبالذات السلوك العدواني من جهة ودراسة تأثير تلك الوسائل في السلوك السياسي للمستقبلين الناخبين أو في سلوك مستهلكي السلع والخدمات **Consumer Behaviors** من جهة أخرى ، فإن الثمانينات شهدت إجراء عدد لا بأس به من البحوث حول تأثير تلك الوسائل في خلق أو تدعيم أنماط السلوك المقبولة اجتماعيا بين المستقبلين المتعرضين بكثافة لتلك الوسائل .

فإذا قبلنا بحقيقة أن التعرض لوسائل الإعلام قد ينتج سلوكا غير مقبول اجتماعيا فإن من المعقول أن نقبل افتراض أن التعرض لتلك الوسائل يمكن أن ينتج أو يساهم في انتاج سلوك مقبول اجتماعيا تبعا لمضمون الرسائل التي تنشرها أو تبثها . فوسائل الإعلام يمكن أن تقدم لجماهيرها نطاقا واسعا من خبرات التعلم بالملاحظة أو النمذجة يمتد من السلوك غير المقبول اجتماعيا إلى ذلك السلوك المرغوب فيه من قبل المجتمع .

وقد عرف فيليبيه راشتون **Philipe Rushton** السلوك المقبول اجتماعيا بانه [1] « السلوك الذي يؤديه الفرد ويبدو مرغوبا فيه من جانب المجتمع **Socially Desirable** أو يمكن أن يفيد منه بطريقة أو بأخرى فرد آخر أو المجتمع بشكل عام» . وقد اقتصر تحليلنا على دراسة تأثير وسائل الإعلام في خلق أو تدعيم أربعة أنماط فقط من السلوك المقبول إجتماعيا على النحو التالي :

---

(1) Rushton, Philipe Z., 1982, "Television and Prosocial Behavior", in Pearl, D., L. Bouthilet, and J. Lazar, Op. Cit., vol. II. p. 249.

أ ـ الايثار Altruism : أو سلوك المشاركة Sharing Behavior ، والتعاون Cooperation ، وسلوك المساعدة Helping Behavior :

تتفق الدراسات التي بحثت تأثير التعرض لوسائل الإعلام على خلق أو تدعيم سلوك الإيثار على أن الاطفال الذين تعرضوا لهذا النمط من السلوك في وسائل الإعلام أظهروا درجة أعلى من الإثار في سلوكهم من أولئك الذين لم يتعرضوا لنفس الرسائل ، أو تعرضوا لرسائل تتبنى سلوكا عكس الايثار ، أي سلوكا تبدو فيه درجة عالية من الانانية Selfishness .

ففي مجموعة من التصميمات التجريبية ـ على سبيل المثال ـ تم تعريض عدة مئات من البنين والبنات الذين يتراوح عمرهم بين السادسة والتاسعة لبرنامج تليفزيوني كانت الشخصية الرئيسية فيه طفلا يلعب مباراة في البولينج مع مجموعة من اقرانه ثم يفوز ويحصل على بعض شهادات الهدايا Gift Certificates . بعد ذلك تم تقسيم الأطفال عشوائيا إلى مجموعتين وتعريض المجموعة الأولى لبقية البرنامج وفيها يقوم الطفل الذي يكسب مباراة البولينج بالتبرع بما كسبه لأحد المشروعات الخيرية . أما المجموعة الثانية فتتعرض لجزء ثان مختلف من البرنامج لا يقوم فيهالطفل البطل بالتبرع بما كسب . وفي النهاية تتم ملاحظة سلوك المجموعتين في موقف مشابه لما شاهدوه في البرنامج يكسبون فيه بعض الأموال لتحديد مقدار ما يتبرعون به لأعمال الخير . وأشارت النتائج إلى أن الأطفال قد تأثروا بشكل واضح بما شاهدوه في البرنامج وأن نمذجة سلوك الايثار قد ظهرت بشكل واضح . فالأطفال الذين شاهدوا الطفل البطل يتبرع بما كسب تبرعوا بمبالغ أكبر كأفراد وكجماعة في حين أن الأطفال الذين شاهدوا نموذجا لسلوك أناني كانوا أقل ايثارا وأميل إلى الانانية[1] .

وقد أعيد إثبات نفس النتائج في عدة دراسات أخرى استخدمت نفس الاجراءات المنهجية . فقد توصلت احدى الدراسات إلى أن الأطفال قد تأثروا بالنماذج الإعلامية السلوكية وذلك باظهار درجة أعلى من سلوك المشاركة باقتسام الحلويات والنقود التي كانت لديهم مع الأطفال الآخرين .

على ان النقد الأساسي الذي وجه لمثل تلك الدراسات هو أنها توصلت إلى نتائجها في بيئة معملية وأن تلك النتائج قد لا تكون هي نفسها التي يتم الوصول اليها في بيئة المنزل أو الحياة اليومية الطبيعية .

---

(1) Bryan, J. H., 1975, "Children's Cooperation and Helping Behavior", in Hetherington, E.M., ed., **Review of Child Development Research,** Vol. 5, Chicago: University of Chicago Press.

ومع ذلك فقد أجريت ثماني دراسات[1] تناولت بحث العلاقة بين التعرض لنماذج سلوكيات الايثار في وسائل الإعلام ودرجة التدعيم لنفس السلوكيات لدى المتعرضين في الواقع ، وفي حين لم تكن النتائج بنفس الوضوح والقطع **Clear - Cut** الذي ظهر في نتائج الدراسات المعملية الا أن اجمالي تلك النتائج يؤيد النتيجة الرئيسية التي تم التوصل اليها في المعمل وهي أن سلوك الايثار يمكن تعلمه وتقليده أو اعادة انتاجه من النماذج التي يتم عرضها في وسائل الإعلام وبالذات التليفزيون .

ب ـ السلوك الودي **Friendly Behavior** :

دلت كل الدراسات السبع التي تناولت علاقة التعرض لوسائل الإعلام بخلق أو تدعيم السلوك الودي نحو الآخرين ، وكلها أجريت على أطفال في سن ما قبل المدرسة ، أن المحتوى التليفزيوني الذي يبرز نماذج من السلوك الودي بشكل صريح أو ضمني مفهوم للأطفال قد أدى إلى تزايد السلوك الودى للأطفال المتعرضين نحو أطفال الأقليات العرقية الأخرى[2] . فقد أظهرت دراسة أجريت في كندا على مجموعة من الأطفال البيض الناطقين بالانجليزية انهم أبدوا درجة أعلى من التفضيل للعب مع أطفال الأقليات غير البيضاء بعد مشاهدة أجزاء من برنامج شارع السمسم **Seasme Street** تصور أطفالا بيضا يلعبون مع أطفال من اقليات عرقية غير بيضاء . في حين لم تبد مجموعة أخرى من الأطفال لها نفس الخصائص لم تتعرض للبرنامج مثل هذه الدرجة من التفضيل[3] .

وتوصلت دراسة مسحية [4] إلى ان الأطفال من ذوي الميول الانعزالية في الحضانة يؤدي تعرضهم لبعض المواد التليفزيونية التي تظهر التفاعل مع الاقران على أنه سلوك يستحق المكافأة إلى ابداء درجة أعلى من التفاعل . وقد وصف البعض نتائج تلك الدراسة المسحية بأنها درامية .

---

(1) Rushton, J.P. and D. Owen, 1975, "Immediate and Delayed Effects of TV Modeling and Preaching on Children's Generosity", British Journal of Social and Clinical Psychology, Vol. 14, pp. 309–310.

(2) **Lowery, S. and M. De Fleur, Op. Cit., P. 370.**

(3) Gorn, G.J. M.E. Goldberg and R.N. Kanungo, 1976, "The Role of Educational Television in Changing the Intergroup Attitudes of Children", Child Development, Vol. 47, pp. 277–280.

(4) O'Conner, R.D., 1969, "Modification of Social Withdrawal Through Symbolic Modeling", Journal of Applied Behavior Analysis, Vol. 2, pp. 15–22.

فقد زاد معدل التفاعل لدى مجموعة الأطفال التي تعرضت للبرنامج من تفاعل واحد في اليوم إلى اثنى عشر تفاعلا بعد التعرض . ولم تظهر المجموعة الضابطة التي لم يتم تعريضها للبرنامج أية زيادة في عدد تفاعلاتها مع الأطفال الآخرين [1] .

ج ـ ضبط النفس Self - Control :

أثبتت التجارب المعملية أن مضامين وسائل الإعلام يمكن أن تؤثر على قدرة الطفل على ضبط النفس . وقد استخدمت تلك التجارب مواد تليفزيونية لدراسة أو وصف مظهر أو آخر من مظاهر ضبط النفس . فقد صممت احدى تلك الدراسات لفحص علاقة مضامين وسائل الإعلام بقدرة الأطفال على مقاومة الاغراء Resistance to Temptation [2] وذلك بوضع مجموعة من الأطفال في الخامسة من عمرهم داخل حجرة كبيرة ووضع قاموس لغوي ومجموعة من لعب الأطفال معهم في نفس الحجرة . وقيل للأطفال ان بامكانهم استخدام القاموس في اللعب بالنظر إليه لمعرفة معاني الكلمات أو مشاهدة الصور التي يتضمنها القاموس وهو عمل لايعد بحال مفضلا من جانب أطفال في الخامسة من عمرهم . وفي نفس الوقت قيل لهم إنه غير مسموح لهم بالاقتراب من لعب الأطفال الموجودة معهم في نفس الحجرة . بعد ذلك تم تقسيم الأطفال إلى ثلاث مجموعات . تم تعريض المجموعة الأولى منها إلى برنامج تليفزيوني يظهر فيه طفل وأمه إلى جواره يلعب بلعب أطفال مماثلة للعب التي كانت بالحجرة (أي نموذج التشريط الجزائي Model-Rewarded Conditioning) بينما لم تتعرض المجموعة الثانية إلى أي برنامج . في حين تم تعريض المجموعة الثالثة إلى برنامج تليفزيوني يظهر فيه طفل يلعب بنفس اللعب ولكن يتم معاقبته بالتوبيخ Scolding (أي نموذج التشريط العقابي Model-Punished Conditioning) بعد ذلك ترك كل طفل وحده في الغرفة وسجل الباحثون من مكان لايراهم فيه الطفل قياسهم للوقت الذي أمضاه الطفل في اللعب باللعب الممنوعة والوقت الذي استغرقه كل طفل في مقاومة الاغراء قبل أن يلعب باللعب الممنوعة . وقد أبدى الأطفال الذين شاهدوا النموذج التليفزيوني يعاقب على سلوكه في اللعب بالممنوع درجة أعلى من المقاومة للاغراء وسجلوا وقتاً أطول قبل الاستسلام للاغراء وقضوا وقتاً أقل في اللعب بالممنوع وهي نتيجة متوقعة . بل ان

---

(1) Lowery, S. and M. De Fleur, 1982, Op. Cit., p. 370.

(2) Dominick, Joseph R., 1987, **The Dynamics of Mass Communication,** New York: Random House, p. 540.

بعض اطفال هذه المجموعة قاوموا الاغراء طول الوقت ولم يقتربوا من اللعب الممنوعة . وكما هو متوقع قضى الاطفال الذين شاهدوا النموذج يكافأ على اللعب بالالعاب الممنوعة أطول وقت في اللعب بالممنوع .

د ـ سلوك الأطفال والبالغين في مواجهة مشاعر الخوف
: Effects of Showing People Coping With Fears

أشارت أربع عشرة دراسة إلى قدرة بعض المضامين الإعلامية على تخفيف مشاعر الخوف وتعديلها **To Modify Fears** لدى الجمهور المستقبل لتلك المضامين . وقد أجريت عدة دراسات على مبحوثين من فئات عمرية متنوعة . فقد أثبتت دراسة رائدة[1] أن وسائل الإعلام يمكن أن تساعد الأطفال في التغلب على بعض مشاعر الخوف المرضي مثل الخوف من طلاب **Dog Phobias** . وأثبتت دراسات أخرى قدرة وسائل الإعلام على تخفيف مشاعر الخوف المرضي من زيارة طبيب الاسنان **Dentophobia** لدى الأطفال ، في حين توصلت دراسات من نوع ثالث إلى أن للتليفزيون قدرة على تخفيف مشاعر الخوف من الثعابين لدى المراهقين والبالغين[2] .

هذه النتائج بالطبع تعد درامية بشكل كبير وتثير الكثير من الجدل خصوصا انها تنسب لوسائل الإعلام القدرة على تغيير السلوك سواء كان تغييرا كبيرا أو طفيفا . والمعروف أن معظم البحوث في مجال التأثير السلوكي لوسائل الإعلام تؤكد على أن قدرة تلك الوسائل على تدعيم **Reinforcement** أنماط السلوك الموجودة بالفعل تفوق قدرتها على خلق انماط جديدة ، وأن قدرتها على خلق أنماط جديدة تفوق بلا شك قدرتها على تعديل أو تغيير تلك الأنماط . فليس هناك أصعب على وسائل الإعلام من التغيير السلوكي . وهذه النتائج تعد درامية أيضا اذا عرفنا أن تغيير السلوك يتطلب جلسات عديدة من العلاج النفسي المكثف من علماء الطب والعلاج النفسي !![3] .

---

(1) Bandura, A. and F.L. Menlove, 1968, "Factors Determining Vicarious Extinction of Aviodance Behavior Through Symbolic Modeling", Journal of Personality and Social Psychology, Vol, 8, pp. 99–108.

(2) Bandura, A., E.B. Blanchard and D.E. Mott, 1969, "the Relative Efficacy of Desensitization and Modeling Approaches for Inducing Behavioral, Affective and Attitudinal Changes", Journal of Personality and Social Psychology, Vol. 13, pp. 173–199.

(3) Dominick, 1987, Op. Cit., p. 540.

بعد هذا العرض المفصل لنتائج تحليل المستوى الثاني ومناقشتها يصبح من الضروري التأكيد على الملاحظات التالية :

١ ـ ان معظم بحوث الإعلام حول التأثيرات السلوكية لوسائل الإعلام تركز بشكل أساسي على دراسة تلك التأثيرات في سلوك فئتين أساسيتين من فئات جماهير تلك الوسائل وهما : الأطفال سواء من كانوا في سن ما قبل المدرسة **Preschoolers** أو من كانوا في سن المدرسة الابتدائية **Grade schoolers** ، ثم المراهقون **Adolescents** .

٢ ـ منذ بداية الستينات وحتى النصف الثاني من الثمانينات من هذا القرن دارت معظم الدراسات بشكل عام حول تأثير وسيلة واحدة هي التليفزيون . وكان موضع الدراسة هو المواد الترفيهية والدرامية في هذه الوسيلة . معنى ذلك أن المواد الاخبارية أو مواد وبرامج الشئون العامة لم تحظ بإهتمام كاف من الباحثين . وكان المنطق الذي يقف خلف هذا التركيز على المواد الترفيهية والدرامية في التليفزيون بالذات هو أن ما ينبغي دراسته هو أكثر المواد الإعلامية التي تتعرض لها أغلبية الجمهور معظم الوقت .

٣ ـ تركز معظم بحوث الإعلام المتعلقة بالتأثير السلوكي حتى عام ١٩٨٦ على التأثير السلبي لوسائل الإعلام المتمثل في خلق وتدعيم أنماط السلوك غير المقبولة اجتماعيا **Antisocial Behaviors** وبالذات تأثير التعرض للعنف في وسائل الإعلام على خلق وتدعيم أنماط السلوك العدواني للمتعرضين بكثافة للمضامين العنيفة . وأثبتت الدراسات المعملية بما لا يدع مجالا للشك وجود علاقة سببية بين التعرض للعنف وزيادة وتدعيم السلوك العدواني للمتعرض . كما أثبتت الدراسات الحقلية وجود علاقة إرتباط ايجابي بين التعرض للعنف في وسائل الإعلام وتزايد اتجاهات السلوك العدواني وتدعيمه لدى المتعرضين بكثافة لهذا النوع من المضمون .

٤ ـ اذا كان الأمر كذلك فهل نتخذ الاجراءات التي تمنع ظهور المضامين العنيفة في وسائل إعلامنا ؟ بالطبع لا . فالعنف الذي يعكس الصراع الإنساني فضلا عن كونه جزءاً أساسياً من الفن الإعلامي وبالذات فن الدراما التليفزيونية فهو جزء من الحياة الإنسانية ذاتها . والمشكلة الأساسية ليست هي العنف الذي يعكس الصراع الانساني الذي لا يخلو منه عصر ، ولا مكان يقطنه إنسان . بل ان المشكلة هي العنف التجاري **Commercialized Violence** . العنف الذي يتم تعليبه في وسائل الإعلام ليساعد في بيع محتوى تلك الوسائل كسلعة **Violence as Commodity** . المشكلة هي في العنف الذي يتم تعليبه وتغليفه في وسائل الإعلام وتقديمه للجمهور على انه الواقع . . العنف الذي يشوه الواقع ويقود إلى تشويه ادراكات الجمهور الذي

يعيش في هذا الواقع ويعايشه . المشكلة هي في تقديم العنف في وسائل الإعلام لمجرد الاثارة والتسلية . ذلك أن مثل هذا العنف قد ينقلب في نهاية التسلية والاثارة إلى واقع . . وواقع مؤلم .

٥ ـ ان علاقة مضامين وسائل الإعلام بالسلوك المقبول اجتماعيا أصعب في الدراسة More Difficult to Detect وتبدو اضعف من علاقة تلك المضامين وبالذات المضامين العنيفة بالسلوك العدواني . ربما يكون السبب هو أن العنف يتم تقديمه في وسائل الإعلام بشكل مجسد وشديد الوضوح Blatant في حين أن المضامين التي تروج للسلوك المقبول اجتماعيا غالبا ما تكون أقل وضوحا وأكثر ضمنية More Subtle ويتم تقديم معظمها في شكل سلوك لفظي Verbal Begavior . ولهذا فنحن في حاجة إلى مزيد من البحوث في هذا المجال قبل أن نكون قادرين على تحسين أداء وسائل الإعلام في تحقيق أهداف التنمية في بلداننا النامية .

REFERENCES

- Bandura, A., E.B. Blanchard and D.E. Mott, 1969, "Relative Efficacy of Desensitization, and Modeling Approaches for Inducing Behavioral, Affective and Attitudinal Changes", Journal of Personality and Social Psychology, vo. 13, pp. 173-199.
- Bandura, A. and D.L. Menlove, 1968, "Factors Determining Vicaruous Extinctions of Avoidance Behavior Through Symbolic Modeling", Journal of Personality and Social Psychology, vol. 8, pp. 99-108.
- Bandura, Albert, 1965, "Influence of Models: Reinforcement Contingencies on the Acquisition of Imitative Responses", Journal of Personaliry and Social Psychology, vol. 1, pp. 589-95.
- Becker, Lee B., 1989, "Secondary Analysis" in Stempel, Guido H. and Bruce H. Westley, eds., **Research Methods in Mass Communication,** Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.
- Becker Lee B., Randy Beam, and John Russial, 1978, "Correlates of Daily Newspaper Performance in New England", Journalism Quarterly, vol. 55, pp. 100-108.
- Berelson, Bernard R., 1959, "The State of Communication Research", Public Opinion Quarterly, vol. 23, pp. 1-15.
- Bryan, J.H., 1975, "Children's Cooperation an Helping Behavior", in Hetherington, E.M., ed., **Review of Child Development Research,** vol. 5, Chicago: University of Chicago Press.
- Cantor, J. and G. Sparks, 1984, "Children's Fear Responses to Mass Media: Testing Some Piagetian Predictors", Journal of Communication, vol. 34, pp. 90-103.
- Chaffee, Steven H., "Television and Adolescent Aggressiveness", In Comstock, G., and E. Rubinstein, eds., 1971, **Television and Social Behavior,** vol. III: Televiosion and Adolescent Aggressiveness, Washington, D.C.: US Government Printing Office.
- Cline, V.B., R.G. Croft and S. Courrier, 1973, 'Desensitization of Children to Television Violence",Journal of Personality and Social Psychology, vol. 27, pp. 360-365.
- Comstock, G., et al., 1978, **Television and Human Behavior,** New York: Columbia University Press.

- Comstock, George and E.A. Rubinstein, (eds.), 1971, **Television and Social** Government Printing Office.
- DeFleur, Melvin and Everette Dennis, 1981, **Understanding Mass Communication,** Boston: Houghton Mifflin.
- Dominick, Joseph R., 1987, **The Dynamics of Mass Communication,** New York: Random House.
- Donnerstein, E., M. Donnerstein and G. Barret, 1976, "Where is the Facilitation of Media Violence: The Effects of Non-Exposure and Placement of Arousal", Journal of Research in Personality, vol. 10, pp. 241-267.
- Eckman, Paul et al., 1971, "Facial Expressions of Emotion While Watching Televised Violence as Predictors of Subsequent Aggression", in Comstock et al., **Television and Social Behavior,** vol. V: Television's Effects: Further Explorations, Washington, D. C.: US Government Printinf Office.
- Eron, E.D. and L.R. Huesmann, 1980, "Adolescent Aggression and Television", Annals of the New York Academy of Sciences, 347, pp. 319-331.
- Foulkes, David, E. Belvedere and Terry Brubaker, 1971, "Televised Content and Dream Content", in Comstock, R. and P. Murray, Op. Cit.
- Gerbner, George, L. Gross, M. Morgan and N. Signiorelli, 1986, "Living with Television: The Dynamics of the Cultivation Process", in Bryant, J. and D. Zillmann, (eds.), **Perspectives on Media Effects,** Hillsdale, N.J.: Lawrence Erlbaum, pp. 17-40.
- Gerbner, G., L. Gross M. Morgan and N. Signiorelli, 1980, "The Mainstreaming of America: Violence Profile No. 11", Journal of Communication, vol. 30, pp. 10-27.
- Gerbner, George and Larry Gross, 1976, "Living with Television: The Violence Profile", Journal of Communication, vol. 26, no. 2, pp. 173-199.
- Gerbner, George, 1971, "Violence in TV Drama: Trends and Symbolic Functions", in Comstock, G. and E.A. Rubinstein, eds. **Television and Social Behavior, vol. 1 Media Content and Control,** Washington, D.C.: US Government Printing Office.
- Ghigloine, Loren, ed., 1973, **Evaluating The Press: The New England Daily Newspaper Survey,** South Bridge, Ma.: Published by the editor.
- Hawkins, R. and S. Pingree, 1982, "Television's Influence on Social Reality" in Pearl, D., L Bouthilet and J. Lazar, Op. Cit., pp. 224-247.

- Huesmann, Rowell, 1982, "Television Violence and Aggressive Behavior", in Pearl, D., L. Bouthilet and J. Lazar, Op. Cit.
- Huesmann, L.R., L.D. Eron, R. Klein, P. Brice, and P. Fischer, 1981, "Mitigating the Imitation of Aggtessive Behaviors", Technical Report, Chicago: Department of Psychology, University of Illinios.
- Lefkowitz, Monroe M., et al., 1971, "Television Violence and Child Aggression: A Follow-up Study" in Comstock and Rubinstein, eds., **Television and Social Behavior,** vol. III, Television and Adolescent Aggressiveness, Washington, D.C.: US Government Printing Office.
- Liebes I. and E. Katz, 1986, "Patterns of Involvement in Television Fiction: A Comparative Analysis" European Journal of Communication, vol. 1, No. 2, pp. 151-172.
- Liebert, Robert M. and Robert Baron, 1971, "Television and Social Learning: Some Relationships Between Viewing Violence and Behaving", in Murray, Rubinstein, and Comstock, Op. Cit.
- Lowery, Shearon A. and Melvin L. DeFleur, 1988, **Milestones in Mass Communication Research, 2nd., New York: Longman, Inc.**

- Lill, J., 1982, "The Social uses of Television" in Whitney, D.C. et al, Mass Communication Review Yearbook, Beverly Hills: Sage Publications, pp. 397-409.
- McCarthy, E.D. et al., 1975, "Violence and Behavior Disorders", Journal of Communication, vol. 25, No. 4, pp. 71-85.

- McQuail, D., 1986, "Is Media Theory Adequate to the Chalenge of New Communications Technologies?" in Ferguson, M., ed., **New Communication Technologies and the Pubic Interest,** Beverly Hills: Sage Publications, pp. 1-17.
- Milavsky, Ronald J., Ronald Kessler, Horst Stipp, and William S. Rubens, 1982, "Television and Aggression: Results of a Panel Study" in Pearl, D. L. Bouthilet and J. Lazar, Op. Cit., pp. 138-157.
- Murray, J.P., 1972, "Television in Innercity Homes: Viewing Behavior of Young Boys", in Rubinstein, E.A., G.A. Comstock and J.P. Murray, (eds.), **Television and Social Behavior,** vol. 4, Television in Day-to-Day Life: Patterns of Use, Washington, D.C.: Government Printing office, pp. 345-394.

- Newcomb H., 1978, "Assessing the Violence Profile of Gerbner and Gross: A Humanistic Critique and Suggestion", Communication Research, vol. 5, No. 3, pp. **Behavior,** vol. III: Television and Adolescent Aggressiveness, Washington, D.C.: 264-282.

O'Conner, R.D., 1969, "Modification of Social Withdrawal Through Symbolic Modeling", Journal of Applied Behavior Analysis, vol. 2, pp. 15-22.

Palmgreen, P. and J.D. Rayburn, 1985, "An Expectancy-Value Approach to Media Gratifications", in Rosengren, K.E. et al., **Media Gratification Research,** Beverly Hills: Sage Publications, pp. 61-72.

Pearl, David, Lorraine Bouthilet and Joyce Lazar, eds., 1982, **Television and Social Behavior: Ten Years of Scientific Progress and Implications for the Eighties,** vol. II, Washinfton, D.C.: Government Printing Office.

Rayburn, J.D. and P. Palmgreen, 1984, "Merging Uses and Gratifications and Expectancy - Value Theory", Communication Research, vol. 11, pp. 537-562.

Richardson, K. and J. Corner, 1986, "Reading Reception: Mediation and Transference in Viewers' Accounts of TV Programme", Media, Culture and Society, vol. 8, No. 4, pp. 485-508.

Rushton, Philipe Z., 1982, "Television and Prosocial Behavior", in Pearl, D., L. Bouthilet, and J. Lazar, Op. Cit., vol. II.

Rushton, P. and D. Owen, 1975, "Immediate and Delayed Effects of TV Modeling and Preaching on Children's Generosity", British Journal of Social and Clinical Psychology, vol. 14, pp. 309-310.

Schramm, Wilbur, Jack Lyle and Edwin B. Parker, 1961, **Television in the Lives of our Children,** Stanford Cal.: Stanford Univcersity Press.

Signiorelli, Nancy. Larry Gross and Michael Morgan, 1982, "Violence in Television Profeammes: Ten Years Later", in Parl, D. et al., Op. Cit.

Singer, J.L. and D.G. Singer, 1980, **Television, Imagination and Aggression: A Study of Preschoolers Play,** Hillsdale, N.J.: Erlbaum.

Snow, R.P., 1984, **Media Power,** Beverly Hills: Sage Publications.

Sprafkim, Joyce and Eli Rubinstein, 1979, "Children's Television Viewing Habits and Prosocial Behavior: A Field Correlational Study", Journal of Broadcasting, vol. 23, No. 3, pp. 265-276.

Tannebaum, P.H. and D. Zillmann, 1975, "Emotional Arousal in the Facilitation of Aggression through Communication", in Berkowitz, L., ed., **Advances in Experi-**

mental Social Psychology, vol. 8, New York: Academic Press.

- Wartella, E. et al., 1983, **Mass Communication Review Yearbook,** Beverly Hills: Sage Publications.
- Winick, Charles, ed., 1978, **Deviance and Mass Media,** Beverly Hills: Sage Publications.
- Wobor, J.M., 1978, "Televised Violence and the Paranoid Perception: The View from Great Britain", Public Opinion Quarterly, vol. 42, pp. 315-321.
- Zillmann, D. and J. Bryant, eds., 1985, **Selective Exposure to communication,** Hillsdale, N.J.: LEA.
- Zillmann, D., 1982 "Television Viewing and Arousal", in Pearl, D., L. Bouthilet and J. Lazar, Op. Cit., vol. II.
- Zillmann, D. and R.C. Johnson, 1973, "Motivated Aggressiveness Perpetuated by Exposure to Aggressive Films and Reduced by Exposure to Non-Aggressive Films", Journal of Research in Personality, vol. 7, pp. 261-267.